



LETTER OF ACCEPTANCE

Journal of Global Ethics

E-ISSN: 1744-9626|

Prof. Dr. Haider Habib Hamza 1, : Athra Hilil Abed 2
1,2University of Qadissiyha – Faculty of Arts

We are pleased to inform you that your paper titled “**The Qur’anic readings in the book (Al-Safia Sharh Al-Shafia) by Qara Sinan (d. 52AH) (orthopti and phoneti study**” has been accepted for publication in the Journal of International Ethics and will appear in Volume 19, Issue No. 2, 2023 I take this opportunity to thank you for your interest in the GGE Center, and I wish you all the best in your future endeavors.

Managing Editor

Sirkku Hellsten



Date Issued

May11, 2023

Registered in England & Wales No. 3099067. 5 Howick Place | London | SW1P 1WG

القراءات القرآنية في الصافية شرح الشافية لقره سنان (ت: ٨٥٣هـ)

أ.د حيدر حبيب حمزة

الباحثة: عذراء هليل عبد

الملخص

تعد القراءات القرآنية أهم مصدر من مصادر السماع لدى قره سنان في كتابه (الصافية شرح الشافية) فكان لها نصيب وافر في الاستشهاد اللغوي عنده، وكان يرجح قول القراء على غيرهم لقوله: ((ومأمله القراء وإن كان غير متواتر أولى مما نقله غيرهم من الأحاد ...)) مما جعله يستشهد بالقراءات القرآنية سواء كانت متواترة أو أحادا.

Abstract:

Qur'anic readings are considered the most important source of listening to Qara Sinan in his book (Al-Safiya Sharh Al-Shafiya), and they had a large share in his linguistic citation, and he used to give priority to the words of the reciters over others, as he said: ((And what the reciters have transmitted, even if it is not frequent, is more important than what others have transmitted from the ahad. ..)) Which made him cite Qur'anic readings, whether they were frequent or single.

المقدمة:

تُعدّ القراءات القرآنية أهم مصدر من مصادر السماع في دراسة اللغة العربية بفروعها المختلفة، إذ كان الاهتمام بها ناتجاً من الاهتمام بالقرآن الكريم فكان لها نصيب وافر في الاستشهاد اللغوي .

وهي في اللغة : مصدر للفعل : قرأ يقرأ قراءة، ومعنى قرأت القرآن لفظت به مجموعاً على شكل كلمات وجمل تتضمن آياته المباركة^(١) .

وفي الاصطلاح : هي ((اختلاف ألفاظ الوحي المذكورة في كتابة الحروف أو كيفيتها ، من تخفيف وتثقيل وغيرها))^(٢) .

ويرى الدكتور عبده الراجحي أنّ القراءات القرآنية هي إنعكاس للواقع اللغوي السائد في شبه الجزيرة العربية^(٣) .

وقيل أيضاً : ((أنها النطق بألفاظ القرآن الكريم كما نطقها النبي (ﷺ)، أو كما نُطِّقَت أَمَامَهُ فَأَقْرَأَهَا))^(٤) .

فهي سُنَّةٌ متبعة اشترط فيها النقل والسماع^(٥) واستند إليها العلماء الأوائل في تقعيد قواعدهم وضبطها بواسطة الأسس التي أرساها قُرَّاءُها على ما جاء في القرآن الكريم ، ووضع علماء القراءات عدّة شروط للقراءة الصحيحة سواء كانت سبعية أم عشرية أم منسوبة إلى غيرهم أم شاذة ، يقول ابن الجزري : ((كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو إحتمالاً وصحّ سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز رَدّها ولا يحل إنكارها بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها ، سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين ؛ ومتى اختلف ركن من هذه الأركان الثلاثة، أُطْلِقَ عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء كانت عن السبعة أم عمّن هو أكبر منهم ...))^(٦) .

١ - ينظر: لسان العرب: ٢٨ / ١ (قرأ) ، والقاموس المحيط (الفيروز آبادي) : ٥٧ / ١ (قرأ) ، وتاج العروس من جواهر القاموس (مرتضى الزبيدي) : ٣٧١ / ١ (قرأ) .

٢ - البرهان في علوم القرآن (ابن الجزري) : ٣١٨ / ١ .

٣ - ينظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية (عبده الراجحي) : ٨١ .

٤ - القراءات القرآنية تاريخ وتعريف (عبد الهادي الفضلي) : ٦٣ .

٥ - ينظر: إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر (الدمياطي) : ٦٧ / ١ .

٦ - النشر في القراءات العشر (ابن الجزري) : ٩ / ١ - ١٠ .

أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِقَرِهِ سَنَانٌ فَقَدْ كَانَ يَرْجَحُ قَوْلَ الْقُرَّاءِ عَلَى غَيْرِهِمْ إِذْ قَالَ : ((..وما نقله القُرَّاءُ وَإِنْ كَانَ غَيْرُ مُتَوَاتِرٍ أَوْلَى مِمَّا نَقَلَهُ غَيْرُهُمْ مِنَ الْآحَادِ ...))^(٧). فكان يستشهد بالقراءات القرآنية سواء كانت متواترة أو آحاداً ، إذ استشهد بصافيته بثمانية مواضع من القراءات القرآنية منها:

١ - أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ):

أ. احتجَّ قره سنان بقراءة أبي عمرو بن العلاء ((فَرَّطُ فِي جَنْبِ اللَّهِ)) بإدغام الطاء في التاء في قوله تعالى : ﴿ فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ ﴾^(٨) في باب امتناع إدغام المتقاربين للمحافظة على صفة الحرف .

وذكر سيبويه (ت ١٨٠هـ) أن : ((الطاء والتاء والذال أخوات الطاء والذال والتاء لا يمتنع بعضهن من بعض في الإدغام ، لأنهن من حيز واحد وليس بينهن إلا ما بين طرف الثنايا وأصولها))^(٩).

وقال في موضع آخر : ((وإذا كانت الطاء مع التاء فهو أجدر أن تقلب التاء طاءً ، ولا تُدغم الطاء في التاء فتخل بالحرف لأنهما في الانفصال أثقل من جميع ما ذكرناه . ولم يُدغموها في التاء لأنهم لم يُريدوا إلا أن يبقى الإطباق إذ كان يذهب بالانفصال ، فكرهوا أن يلزموه ذلك في حرف ليس من حروف الإطباق وذلك قولك : أطعنوا ... ، كما كرهوا أن يكون بعد الطاء غير الطاء من الحروف))^(١٠).

فيما سبق أشار سيبويه أن الحروف المذكورة في النص هي حروف من مخرج واحد لذا لم يمتنع الإدغام فيهن .

ويرى أن الطاء إن سبقت التاء تُقلب التاء طاءً ولا يجوز إدغام الطاء في التاء لأنهم أرادوا إبقاء صوت الإطباق كي لا يخل بالحرف لا سيما أن ما بعد الطاء ليس من حروف الإطباق وذلك مكروه لديهم .

وقال السيرافي (ت ٣٦٨هـ) : ((إنَّ الطاء وهي مطبقة إذا أدغمت في التاء أُشربت الإطباق ولا تجعل خالصةً ، لأن الطاء أفشى منها في الإطباق ... فالحرف إذا كانت له مزية يخرجها إدغامه فيما ليست له تلك الفضيلة عنها فيذهب ماله من الفضيلة كثرة إدغامه فيما يذهب فضيلته، ولذلك لا يُختار إدغام الطاء في التاء ، لأن الطاء مطبقة فيكره ذهاب إطباقها بإدغامها في التاء، ولذلك كان أبو عمر يقرأ (بَسَطْتُ إِلَيَّ يَدَكَ) وقال: (أحطت بما

^٧ - الصافية شرح الشافية : ٤٥١ / ٢ .

^٨ - زمر ٥٦ ، القراءة تنظر: معجم القراءات (عبد الطيف الخطيب) : ١٧٦ / ٨ .

^٩ - كتاب سيبويه : ٤٦٤ / ٤ .

^{١٠} - نفسه : ٤٧٠ - ٤٧١ .

لم تُحِطَ بِهِ)، (فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ) ونحوه يدغم الطاء في التاء ويبقى منها صوتًا لئلا يخل بحرف الإطباق))^(١١).

فحرف الطاء أعم تصرفًا وأكثر قوةً من التاء والإدغام الخالص يذهب بهذه المزية لأنها إن أدغمت في التاء ذهب إطباقها فلا بد من بقاء صوت الإطباق ولولا التجانس بين الحرفين لم يسغ الإدغام .

وقد ذهب ابن جني إلى أن الطاء لا تُدغم في التاء إذ قال : ((إعلم أن الطاء حرف مجهور مستعمل ، يكون أصلًا وبدلًا ولا يكون زائدًا ... فما أطرده فليس الإبدال فيه من قبل الإدغام ، وإنما هو لأن قبلها حرفًا مطبقًا ، الا ترى إلى اضطرب واضطرب واضطهر مبدلًا ولا إدغام فيه . وأصل هذا كله إصتبر واضطرب واضطهر ، ولكنهم لما رأوا التاء بعد هذه الأحرف ، والتاء مهموسة ، وهذه الأحرف مطبقة ، والتاء مخففة قربوها من لفظ الصاد والضاد والطاء بأن قلبوها إلى أقرب الحروف منهن وهو الطاء لأن الطاء أخت التاء في المخرج وأخت هؤلاء الأحرف في الإطباق والإستعلاء ...))^(١٢).

فهو يرى أن هنالك ابدالًا بين حرفي الطاء والتاء وليس إدغام فهو غير جائز ، ومما سوَّغ هذا الإبدال وقوع حرف الأطباق قبلها وهي مهموسة ومخففة مما جعلها تقترب من لفظ حروف الإطباق فقلَّبت إلى الطاء لأنهن من مخرج واحد وتشترك مع بقية الحروف في صفات الإطباق و الإستعلاء ، وأشار إلى أن التاء تقلب طاء إذا وقعت الطاء قبلها .

وذكر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) : ((أن الطاء والذال والتاء والظاء والذال والتاء سنتها يُدغم بعضها في بعض ، وفي الصاد والزاي والسين ، وهذه لا تُدغم في تلك إلاَّ إنَّ بعضها يُدغم في بعض والأقيس في المطبقة إذا أدغمت تبقيّة الإطباق كقراءة أبي عمرو : (فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ))^(١٣).

صَرَّحَ بأنَّ حروف الإطباق تُدغم في بعضها وفي حروف الصفير ، إلاَّ إنَّ حروف الصفير لا يمكن أن تُدغم في حروف الإطباق بل تُدغم في بعضها البعض ، وأنَّ القياس في الحروف المطبقة هو بقاء صوت الإطباق إن أدغمت في غيرها لأنها تتصف بالجهر والقوة .

^{١١} - شرح كتاب سيبويه (السيرافي) : ٤١٨ / ٥ ، والقراءة الأولى ينظر : معجم القراءات : ٢ / ٢٥٦ ، والثانية : ٤٩٨ / ٦ .

^{١٢} - سر صناعة الأعراب : ٢٢٩ / ١ ، وينظر : الخصائص (ابن جني) : ١٤٣ / ٢ .

^{١٣} - المفصل في صناعة الأعراب (الزمخشري) : ٥٥٣ .

وقال ابن الحاجب: ((ولا تُدغم حروف الصغير في غيرها ، لفوات الصغير منها ولا المطبقة في غيرها من غير إطباق على الأفصح كإدغامهم الطاء في التاء في نحو قولك : أَحَطَّتْ وَفَرَّطَتْ))^(١٤).

وقصد بقوله من (غير إطباق) أنه يجوز إدغام الحروف المطبقة في غيرها مع بقاء الإطباق كما في قراءة أبي عمرو (فَرَّطْتُ في جنب الله) لأن القياس هو إدغام حروف الصغير في مثلها وحروف الإطباق في مثلها.

وقال قره سنان : ((ولا يُدغم حُرُوف الصغير في غيرها محافظة على الصغير ولا يدغم المطبقة في غيرها محافظة على الإطباق ، ويُعلم من قوله من غير إطباق على الأفصح أنها تُدغم مع تبعية الإطباق كقراءة أبي عمرو (فَرَّطْتُ في جنب الله) أي قَصَّرت في طاعة الله وفيه نظر))^(١٥).

يتضح في النص السابق أنه يرى أنَّ حروف الصغير لا تُدغم في غيرها حفاظاً على صوت صغيرها، وأنَّ حروف الإطباق لا تُدغم أيضاً في غيرها قياساً للحفاظ على إطباقها وهو الأفصح ؛ لكن في حالة حصول الإدغام في غيرها فإن هناك ما يساعد على ذلك ، فمخارج وصفات هذه الحروف تقترب من بعضها ، إذ إنَّ مخرج الطاء والذال والتاء مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا ، وتتصف الطاء بأنها صوت مجهور مطبق والتاء صوت مهموس ، وقُلِّبت التاء طاء أو دالاً لأنهن أخوات في المخرج ولتقريب وإدناء الصوت من الصوت فهو أقرب الحروف إليها أو أنها أبدلت لأستعلاء حروف الإطباق ، فالتاء حرف غير مستعلٍ وهو من حيز حرف مستعل وهو الطاء ، فأبدلوا من التاء ما هو مستعلٍ من حيزها وهو الطاء^(١٦).

وهذا التعليل الذي ذُكِرَ (إبدال تاء الإفتعال مع حروف الإطباق طاء ومع الزاي والذال والذال دالاً)، بحاجة إلى زيادة إيضاح ؛ فإذا كانت التاء قد أبدلت لأنها حرف مهموس جاء بعد حروف الإطباق فهل معنى ذلك إن كل حرف مهموس يأتي بعد مطبق ساكن يلزم فيه الإبدال ؟

واقع اللغة لا يؤيد هذا فالفاء مثلاً مهموسة وقد قالت العرب : يظفر ويطفح ، والحاء مهموسة وقالوا : يصحب ويطحن ، وقالوا مع الهاء : يظهر ويصهر .

^{١٤} - شرح الشافية لمصنفها ابن الحاجب : ٨٥٦ ، وينظر : شرح شافية ابن الحاجب (الرضي) : ٢ / ٩٤٥.

^{١٥} - الصافية شرح الشافية : ٥٩٦ / ٢.

^{١٦} - ينظر : سر صناعة الأعراب : ٦٠ / ١ ، والخصائص : ١٤٣ / ٢ ، ٢٣٢ / ٢ ، والدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني : ٣٤٧ ، وينظر: القراءات القرآنية في كتب معاني القرآن : ١٤٢.

يرى الدكتور النعيمي أن الأمر لا يتعلق بصفة الهمس التي في التاء وحدها ، وإنما بصفة الشدة التي فيها أيضاً مع قرب مخرجها من الحروف التي أبدلت معها ^(١٧) إضافة إلى إتفاق الذوق العربي على ذلك وأن يُصار إلى المسموع الكثير فيه لأن الصوت كان مناسب لطبيعة الحضارة آنذاك فمعظم القبائل البدوية تميل إلى الجهر وهذه الصفة تجعل الحرف المهموس عرضة لأن يتحول عنه إلى مجهور ، وأمثلة هذه الظواهر لا تعرف إلا طراد لا سيما أن الطاء حرف مجهور شديداً مستعمل مطبق فيكون اللفظ بالطاء أشد من اللفظ بالتاء ^(١٨) .

من ذلك نرى أنه قد علل الإبدال بأنه قد يحصل لإتفاق الحرفين في المخرج وصفة الشدة في (فَرَطْتُ) ، وهناك من يفسر هذا التعليل على أن الطاء أعم تصرفاً وإذا رُقِقت الطاء صارت تاء فلا يبعد أن يدخلها التغيير والإبدال على ذلك ، فالأصل هو: إذا كان أحد الحرفين أعم تصرفاً حُكِمَ بأنه الأصل والثاني بدل وقد ((أدغم الطاء وهو صوت مجهور وشديد في التاء الصوت المهموس الشديد إذ نلاحظ سقوط صفة الجهر عند إدغام الطاء في التاء)) ^(١٩) .

يُستدل من ذلك أن هذه الصفات العامة لا تُشكل واحدة منها علة في قوة الصوت أو ضعفه إذ يُدغم المجهور في المهموس فينزل عن همسه وقل مثل ذلك في الشدة والرخاوة .

ومن ثم تكون هذه الصفات لا أهمية لها في حالة الإدغام بل إن الأصوات تتنازل عنها نظير وضعها الجديد الذي تكسب فيه وجوداً آخر أو صفة مقابلة ^(٢٠) .

ب : وأستشهد قره سنان أيضاً بقراءة أبي عمرو بن العلاء ((فمن زُحِرَ عن النار)) بإدغام الحاء في العين في (مبحث الإدغام) في قوله تعالى: ﴿فَمِنْ زُحْرِجٍ عَنْ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ ^(٢١) .

مذهب سيبويه أن الحاء لا تُدغم في العين إذ قال : ((ولم تُدغم الحاء في العين في قولك : امدح عرفة ، لأن الحاء قد يفرون إليها إذا وقعت الهاء مع العين وهي مثلها في الهمس والرخاوة مع قرب المخرجين . فأجريت مجرى الميم مع الباء فجعلتها بمنزلة الهاء كما جعلت الميم بمنزلة النون مع الباء . ولم تقو العين على الهاء إذ كانت هذه قصتها وهما

^{١٧} - ينظر : الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني : ١٤٧ - ١٤٨ .

^{١٨} - ينظر: نفسه : ١٢٩ .

^{١٩} - القراءات القرآنية في كتب معاني القرآن : ٢٠٧ .

^{٢٠} - نفسه : ٢٠٧ .

^{٢١} - آل عمران : ١٨٥ والقراءة تنتظر: القراءة في معجم القراءات : ٦٤٠ / ١ .

من المخرج الثاني من الحلق وليست حروف الحلق بأصل للإدغام . ولكنك لو قلبت العين حاءً فقلت في امدح عرفة : امدحرفة ، جاز كما قلت : أجبنيه تُريد : أجبنيه عنيه حيث أدغمت وحولت العين حاءً ثُمَّ أدغمت الهاء فيها ((^(٢٢)).

يرى سيبويه أن إدغام الحاء في العين ضعيف لأن الحاء صوت حلقي لا يُدغم إلا في الأدخل منه في الحلق ، ووجهه أنه راعى التقارب في المخرج ، أمّا قلب العين إلى الحاء إذا كانت بعدها فهو جائز.

أما ابن جني فإنه يرى أن إدغام الحاء في العين ممكن ، وذلك لإتفاقهما في المخرج ولم يختلفا إلا في الصفة – فالحاء مهموسة ورخوة وتتصف العين بما بين الشدة والرخاوة-^(٢٣) ، إذ قال : ((... ولولا بحة في الحاء لكانت عينًا ... لأن الحاء مهموسة ومضاربة بالحلقيّة ... وليست فيهما نضاعة العين ولا جهرها))^(٢٤).

يتضح من النص السابق أن الإدغام في هذه الحالة ممكن وجائز لأن الحاء والعين متفقان في المخرج إذ إنهما صوتان حلقيان ، مخرجهما من أوسط الحلق لكن العين أعمق من الحاء .

وقال الداني : ((فأما الحاء فأدغمها في العين في قوله : (فمن زحزح عن النار) لا غير ... وأظهرها فيما عدا هذا الموضوع))^(٢٥).

فإن إدغام الحاء في العين من غير إبدال العين حاءً شاذ إذ إنه يجب قلب العين حاءً ثم إدغامها في العين وإلا فإن الإدغام المباشر يكون غير جائز لا على القياس .

وعَلَّلَ ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ) إدغام العين في الحاء في نحو : (أرفع حَاتِمًا) إذ قال : ((وأما قلبها حاءً إذا وقعت قبل الحاء فهو حسن لأن باب الأدغام أن تدغم إلى الثاني وتحوّل إلى لفظه))^(٢٦).

يرى أن قلب العين حاءً إن وقعت قبل الحاء جائز فتصبح (أرفحَاتِمًا) لأن القياس في الإدغام أن تحوّل الحرف الأول إلى الثاني وليس العكس .

^{٢٢} - كتاب سيبويه : ٤ / ٤٤٩ ، وينظر: البديع في علم العربية (ابن أثير) : ٢ / ٦٣٤.

^{٢٣} - ينظر : القراءات القرآنية في كتب معاني القرآن : ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٦.

^{٢٤} - سر صناعة الأعراب : ١ / ٢٥٤ ، وينظر: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية (عبد العزيز الصيغ): ٦٦.

^{٢٥} - التيسير في القراءات السبع (أبو عمرو الداني) : ٢٣ ، وينظر: الدر النثير والعذب النمير (أبو عمرو الداني) : ٣٢/٢.

^{٢٦} - شرح المفصل (ابن يعيش) : ٥ / ٥٣٣.

أما ابن عصفور (ت ٦٦٩هـ) فقد قال : ((إن تقدمت الحاء عن العين بيّنت ولم تُدغمها في العين ، لأن العين أدخل في الحلق ، ولا يقلب الأخرج إلى الأ دخل))^(٢٧).

فالإدغام في مثل (فمن رُحِزَ عن النار) غير جائز لديه ، إن تقدمت الحاء عن العين لأنها أدخل منها في الحلق وذلك لا يصح إذ إنه يجب إدخال الأسهل في الأثقل . وقال ابن الحاجب : ((ولا يُدغم حرف حلق في أدخل منه؛ لما يؤدي إلى إدغام الأسهل في الأثقل ، إلا الحاء في العين والهاء لشدة التقارب ، ومن ثم لم يقولوا في أدبَح عَتُودًا ، أو إدبَح هذه: إذ بَعَثُودًا ، ولا إدبَهْذه ، ولكن قالوا : إذ بَحَثُودًا وأدَبَحَذه ، فقلبوا الثاني إلى الأول لذلك))^(٢٨).

يرى أن إدغام الحاء في العين جائز لشدة التقارب بينهما في المخرج مما سَوَّغ قلب الحرف الثاني إلى الأول وهو على غير القياس إذ لا يُدغم حرف حلق في أدخل منه .

وقال الرضي (ت ٦٨٨هـ) : ((... إنما كان القياس قلب الأول إلى الثاني دون العكس ، لأن الإدغام تغيير الحرف الأول بإيصاله إلى الثاني وجعله معه كحرف واحد ، فلما كان لا بد للأول من التغيير بعد صيرورة المتقاربين مثلين ابتدأت بتغييره بالقلب))^(٢٩).

يتضح من نص الرضي أن القياس هو قلب الأول إلى الثاني ولا يجوز العكس، وإن إقتضى العكس فيجب القلب أولاً ثم الإدغام أي إنه جائز للضرورة وللتقارب الشديد في المخرج ، ومن ذلك يبين أن الأقدمين قد أولوا شرط الموقعية اهتماماً واسعاً.

ولأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) رأي في ذلك إذ قال : ((وقع التكافؤ بين الحاء والعين فأدغمت الحاء في العين كقراءة أبي عمرو (فمن رُحِزَ عن النار) ، (فلا جُنَاح عليهما) و(المسيح عيسى) ، قال أبو عمرو : ومن العرب من يُدغم الحاء في العين ، ومنع سيبويه وأبو علي من إدغام الحاء في العين وتأوّل بعضهم الإدغام على أن المراد به الإخفاء ، ويجوز أن تقلب العين إلى الحاء فنقول : في امدح عرفة : امدح حرفة))^(٣٠).

ف رأي أبو حيان هو جواز إدغام الحاء في العين وذلك للتكافؤ بينهما حيث أن نطق الحائين أسهل من نطق العينين . وأشار إلى أن سيبويه وأبو علي قد منعوا ذلك الإدغام ، وأن قسمًا آخر قد أوّل الإدغام بالإخفاء وإنه يجوز قلب العين إلى الحاء على الإخفاء وليس على حقيقة الإدغام .

^{٢٧} - الممتع في التصريف (ابن عصفور) : ٤٣١.

^{٢٨} - شرح الشافية لمصنفها ابن الحاجب : ٨٥٦.

^{٢٩} - شرح شافية ابن الحاجب (الرضي) : ٣ / ٢٦٤.

^{٣٠} - أرتشاف الضرب من لسان العرب (أبو حيان الغرناطي) : ٢ / ٧٠٨ ، والقراءات تنظر: في معجم القراءات الأولى : ١ / ٦٤٠ ، والثانية : ١ / ٣١٦ ، والثالثة : ٢ / ٢٧٠ ، ٢٨٠.

وقال قره سنان : ((وتُدغم الحاء في الهاء والعين بقلبهما حائنين كما تقدم في اذبحتودا و اذبحاه ، وجاء إدغام الحاء في العين بقلب الحاء عيناً في قراءة أبي عمرو (فمن زحزح عن النار) في (فمن زحزح عن النار)))^(٣١) .

يبدو من النص أنّ الأصل هو إدغام الحاء في الهاء والعين بقلبهما حائنين ، أي قلب الأول إلى الثاني وهو الأسهل ، لأن الحاء صوت مهموس وهو أضعف الإعتماد عليه في موضعه ، فهو انعدام الجهر و بعكسه حرف العين المجهور الذي أُشبع الإعتماد عليه في موضعه لذلك كان من الأسهل إدغام الحاء في العين^(٣٢) .

وقد جاء قلب الحاء عيناً في قراءة أبي عمرو (فمن زحزح عن النار) على غير القياس شذوذاً، وقد حدث هذا الإدغام للتقارب الشديد بين مخرجي الحاء والعين فهما صوتان حلقيان بلعوميان كما وصفهما المحدثون ومخرجهما من أوسط الحلق غير أن العين أدخل من الحاء وهي كما وصفها سيبويه بأنها ((بين الرخوة والشديدة، تصل إلى التردد فيها لشبها بالحاء))^(٣٣) .

لذلك جاز الإدغام فيها ولكن البيان فيهما أحسن .

وذكر أنّ : ((الحرف الثاني يُقلب إلى لفظ الأول فيتماثل الحرفان فيُدغم الأول في الثاني ، ولا يكون إلا لمقتضٍ وهو شيئان : أحدهما كون الحرف الأول أخف من الثاني ، وذلك إمّا في حرفين حلقيين كما إذا قُصِدَ إلى إدغام الحاء في العين، أو في الهاء فقط كما في امدح عامراً ، وامدح هذه ، فإن العين والهاء أثقل من الحاء لأنهما أدخل في الحلق لذا يُقلبان إلى الحاء))^(٣٤) .

فالأصل إنّ الأصوات الحلقية تُدغم في الحلقية عدا (الحاء) لا تُدغم في (العين) ولا في (الهاء)^(٣٥) ، لذلك فإنّ قراءة أبي عمرو في (فمن زحزح عن النار) جاءت شذوذاً.

^{٣١} - الصافية شرح الشافية : ٥٩٧ / ٢ .

^{٣٢} - ينظر : كتاب سيبويه : ٤ / ٤٣٤ ، القراءات القرآنية في كتب معاني القرآن : ١٢٨ . والأصوات اللغوية (إبراهيم أنيس) : ٢١ - ٢٢ .

^{٣٣} - كتاب سيبويه : ٤ / ٤٣٥ .

^{٣٤} - القراءات القرآنية في كتب معاني القرآن : ١٤٦ .

^{٣٥} - ينظر: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية : ٢٣٩ .

٢ - قراءة حمزة بن حبيب الزيّات (ت ١٥٦هـ):

استشهد قره سنان بقراءة حمزة في موضعين ، أحدهما هذا الموضع في باب إدغام التاء في الطاء بعد القلب اذ قرءة (اسطّاع) بتشديد الطاء وإدغام التاء في الطاء في قوله تعالى : ﴿فما اسطّاعوا أن يُظهروه﴾^(٣٦).

ففي كلام سيبويه عن حذف التاء في (يستطيع) علل هذا الحذف بأنهم استثقلوا في (يستطيع) التاء مع الطاء فتُحرك السين وهي لا تُحرك أبدًا فحذفوا التاء^(٣٧)، قال : ((ومن الشاذ قولهم : أحست ومست ، وظلت ، لما كثر في كلامهم كرهوا التضعيف ، وكرهوا تحريك هذا الحرف الذي لا تصل إليه الحركة في فعلت وفعلن ، الذي هو غير مضاف فحذفوا كما حذفوا التاء من قولهم: يستطيع فقالوا : يَسْطِيع ، حيث كثرت كراهية تحريك السين ، وكان هذا أخرى إذا كان زائداً استثقلوا في يستطيع التاء مع الطاء وكرهوا أن يُدغموا التاء في الطاء فتُحرك السين ، وهي لا تُحرك أبدًا ، فحذفوا التاء))^(٣٨).

فقد كان سيبويه أمينًا على النظام النحوي حين قرر أن جمعًا بين ساكنين لا يكون لا في شعر ولا في كلام وأنه لا يذكر أمثلة تجاوز المغتفر فيه البتة^(٣٩).

وهذا مما أورده في باب الشواذ إذ ذكر أن العرب كرهوا التضعيف لأنه مستثقل في كلامهم وأن الإدغام هنا مكروه^(٤٠).

وكان لسيبويه عن هذا المحذور مندوحة بقراءة حمزة في (فما أسطّاعوا) مثلًا ، بإدغام السين في الطاء فتكون حجة لكنه لم يُشر إليها ولو من بعيد صوتًا ، لما تقرر في النظام أن جمعًا بين ساكنين لا يكون^(٤١).

ويمكن أن نقف على هذا النص بما يأتي :

١ - يرى سيبويه أن هذه القراءة شاذة لأنه لا يُجمع بين ساكنين إن كانا حرفين صحيحان أبدًا لا في شعر ولا في كلام ، فهذا محال لأنه من الصعب النطق بهكذا تتابع .

^{٣٦} - الكهف : ٩٧ ، والقراءة تنتظر : معجم القراءات : ٣٠٩ - ٣١٠ .

^{٣٧} - تجاوز الساكنين في مدونة النحو العربي(د. جواد كاظم عناد): ١٤٨ - ١٤٩ .

^{٣٨} - كتاب سيبويه : ٤ / ٤٨٣ .

^{٣٩} - ينظر: الظواهر الصوتية في قراءة حمزة بن حبيب الزيّات (رسول الحلبوسي) : ١٧٦ .

^{٤٠} - كتاب سيبويه : ٤ / ٤٨٢ .

^{٤١} - تجاوز الساكنين في مدونة النحو العربي : ١٤٨ .

٢ - التاء في يسطيع قد حُذفت لاستثقالها مع الطاء وإن أُدغمت في الطاء فسوف تُحرك السين وهي لا تُحرك أبدًا لأنها في الأصل ساكنة والطاء المُدغمة أولهما ساكن أيضًا وهذا لِالتقاء الساكنين لا يجوز البتة .

وقال الزجّاج (ت ٣١١هـ) : ((فأما من قرأ (فما اسطّاعوا) - بإدغام السين في الطاء - فَلأَجِنُّ مُخطيء . زعم ذلك النحويون ، الخليل ويونس وسيبويه وجميع من قال بقولهم ، وحجتهم في ذلك أن السين ساكنة فإذا أُدغمت التاء صارت طاء ساكنة ولا يُجمع بين ساكنين .

ومن قال : اطرح حركة التاء على السين فأقول : فما اسطّاعوا فخطأ أيضًا ، لأن سين استَفْعَل لم تُحَرِّك قَطُّ))^(٤٢).

فالزجاج يرى أن هذه القراءة غير جائزة ومن قرأها لأَجِنُّ مُخطيء؛ لأنه لا يجوز الجمع بين ساكنين ، ولا يجوز طرح حركة التاء على السين لئلا يُحرك ما لا يتحرك أبدًا وهو سين (استَفْعَل) ، فأدغم مع الساكن وإن لم يكن حرف لين وذلك عكس قاعدة الإدغام في المتقاربين .

أما ابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ) فقد ردّ هذه القراءة بلحاظ ما تقرر في الصناعة النحوية من أن جمعًا بين ساكنين لا يكون إذ قال : ((وكلهم قرأ (فما اسطّاعوا) بتخفيف الطاء غير حمزة فإنه قرأ (فما اسطّاعوا) مشددة الطاء يُريد فما استطاعوا ثم يُدغم التاء في الطاء وهذا غير جائز لأنه قد جمع بين السين وهي ساكنة والتاء المُدغمة وهي ساكنة ... والإدغام في مثل هذا رديء في نحو (شهر رمضان) ... فإن ما قبله ليس من حروف المد واللين ، ولا يجوز أن تُنقل حركة المُدغم إلى ما قبله ...))^(٤٣).

ففي (اسطّاعوا) الساكنين هما حرفين صحيحين الصامت الثاني فيهما مشدّدًا وهذا النوع من التجاور كان محل خلاف النحويين أنفسهم ، أو محل خلاف بين النحويين والقرّاء ، ولذلك نجم بهذه القراءات تشكيل صوتي تُسبب إلى ما عُرف بالتقاء الساكنين وهو النوع الذي لا مندوحة عن تغييره لأنه خرج عن قواعدهم وعمّا أشرطوه لِإغفار هذا الالتقاء^(٤٤).

ففي هذا النص المُدغم ليس حرف مدّ ولين ولا يُغتفر التقاء الساكنين إلّا إذا كان الأول منهما حرف مدّ ولين .

^{٤٢} - معاني القرآن وأعرابه (الزجاج) : ٣ / ٣١٢ .

^{٤٣} - السبعة في القراءات (ابن مجاهد) : ٤٠١ ، والآية من سورة الكهف : ٩٧ ، وينظر : تجاور الساكنين في مدونة النحو العربي : ١٥٤ .

^{٤٤} - ينظر : تجاور الساكنين في مدونة النحو العربي : ١٣٠ .

وقال النحاس (ت ٣٣٨هـ) : ((فما اسطاعوا أن يُظهرُوه ، حكى أبو عُبيد أن حمزة كان يُدغمُ التاء في الطاء ويُشدّد الطاء. قال أبو جعفر : وهذا الذي حكاه أبو عُبيد لا يقدر أحد أن ينطق به لأن السين ساكنة والطاء المُدغمة ساكنة ، قال سيبويه هذا محال ، إدغام التاء فيما بعدها ولا يجوز تحريك السين لأنها مبنية على السكون))^(٤٥).

فالنحاس يوافق رأي سيبويه من أن هذا الإدغام لا يستطيع أحد النطق به وهو محال لإلتقاء الساكنين وعدم جواز تحريك السين لأنها ساكنة في الأصل .

وكان لابن خالويه (ت ٣٧٠هـ) رأي مختلف إذ قال : ((إنَّ قوله تعالى : ﴿فما اسطاعوا

﴿ يُقرأ بالتخفيف إلا ما رُوِيَ عن حمزة من تشديد الطاء وقد عيبَ بذلك لجمعه بين الساكنين ليس فيهما حرف مدّ ولين . وليس في ذلك عليه عيب لأن القراء قد قرءوا بالتشديد قوله ﴿ لا تُعَدّوا في السبت ﴾ و﴿ أَمَّنْ لا يَهْدِي ﴾ و﴿ نَعْمَا يَعِظُكُمْ بِهِ ﴾ فإن قيل : إنّ الأصل في الحرف الأول الذي ذكرته الحركة وإنّما السكون عارض فقل إنّ العرب تُشَبِّه الساكن بالساكن لاتفاقهما في اللفظ ، فالسين في استطاعوا ساكنة كلام التعريف ومن العرب الفُصحاء من يُحرّكها فيقول : اللَّبْكة والاحمر ، فجاوز تشبيه السين بهذا اللام وأيضاً فإنهم يتوهمون الحركة في الساكن والسكون في المتحرك كقول (عبد القيس) : أسل ، فيدخلون ألف الوصل على متحرك توهمًا لسكونه والأختيار ما عليه الأجماع ، لأنه يُراد به : استطاعوا فتحذف التاء كراهية لاجتماع حرفين متقاربي المخرج ، فيلزمهم فيه الإدغام))^(٤٦).

يتضح من النص السابق أن الأصل في التاء هو أنها متحركة وأن سكونها عارض ، ولم يُعلل ابن خالويه السكون العارض ، وحمل سكون السين على سكون لام التعريف وهذا ما يُفسر دخول همزة الوصل عليها .

وقال أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) : ((فأما قول حمزة : فما اسطاعوا أن يُظهرُوه فإنما هو على إدغام التاء في الطاء ولم يلقِ حركتها على السين فيُحرّك ما لا يتحرّك ولكن أدغمَ مع أن الساكن الذي قبل المُدغم ليس حرف مد، وقد قرأت القراء غير حرف من هذا

^{٤٥} - أعراب القرآن (النحاس) : ٢ / ٣٠٨.

^{٤٦} - الحجة في القراءات السبع (ابن خالويه) : ٢٣٣ ، الآية الأولى النساء : ١٥٤ ، والثانية يونس : ٣٥ ، والثالثة النساء : ٥٨.

النحو ، ... والحذف في (ما اسطّاعوا) ، والأثبات في (ما استطاعوا) ، كل واحد منهما أحسن من الإدغام على هذا الوجه ((^(٤٧)).

وقال أيضاً : ((... وهذا غير جائز لأنه جمع بين الساكنين وهي ساكنة والتاء المُدغمة وهي ساكنة))(^(٤٨)).

يبدو أنّ هذا الإدغام غير جائز لأنه جمع بين ساكنين ليس قبلهما حرف مد ، وأن الحذف والإثبات أحسن من الإدغام وأن الوجه في الإدغام بما إنه سين (أستفعل) لا تتحرك فقد اضطر إلى أن يُدغم مع الساكن وإن لم يكن حرف لين .

وقال ابن الحاجب : ((يُغتفر التقاء الساكنين (مطلقاً) في الوقف على كل كلمة قبلها ساكن ، لأن الوقف محلّ تخفيفٍ وقطع ، فأمكن ذلك من غير استئصال ، نحو : عَمَرُو وَسَمْعُ . ويُغتفر - أيضاً- في المُدغم إذا كان قبله لينٌ ، وإن لم يكن آخرًا ، لما في المدّ من التمكن بالنطق بالساكن بعده كان قبل حرف اللين من جنسه أو لم يكن نحو : حُويصة في تصغير خاصة ونحو الضالين ونحوثمودّ الثوب ...))(^(٤٩)).

يتضح من النص السابق أنّ التقاء الساكنين عند ابن الحاجب يُغتفر إذا كان في كلمة واحدة كـ (الضالين) لأن أولهما حرف لين وليس حرفاً صحيحاً وهذا هو القياس ، وأن إدغام التاء في الطاء غير جائز لأنه قد جمع بين ساكنين .

وللرّضي رأي في ذلك إذ قال : ((وأما إن كان أول الساكنين من غير حروف اللين ، ولا يكون إذن سكون ثانيهما ألا للوقف في حال الإستعمال لا ينظر الواضع فلا بد من تحريك الأول فيهما بكسرة مختلصة خفيفة ، حتى يمكن النطق بالثاني ساكناً ، نحو: عَمَرُو وَبَكْرُو وبشرٌ ... ولمّا أستحال اجتماعهما إلا مع تحريك الأول وإن كان بحركة خفيفة أختار بعض العرب نقل حركة الحرف الموقوف عليه إلى الساكن الأول على التحريك بالكسرة الخفيفة التي أقتضاها الطبع...))(^(٥٠)).

ففي نظام اللغة يُغتفر التقاء الساكنين إذا كان الساكن الأول منهما حرف مدّ ولين وفي (استطاع) السين ليس حرف مد ولين ، وهذا يُفسر قولهم بعدم جواز التقاء الساكنين فيما أولهما حرف صحيح ، ويُفسر أيضاً وجود ألف الوصل ابتداءً ؛ لأن الصامت الأول ساكنٌ فجاء به للتوصل إلى النطق بالساكن ، وبذلك لا يجوز نقل حركة المُدغم إلى ما قبله لأنه حرف صحيح وليس من حروف المد واللين .

^{٤٧} - الحجة للقرّاء السبعة (الحسن بن احمد عبد الغفار) : ٥ / ١٨١-١٨٢.

^{٤٨} - نفسه: ١٨٠.

^{٤٩} - شرح الشافعية لمصنفها ابن الحاجب : ٢ / ٥٨٨.

^{٥٠} - شرح شافية ابن الحاجب (الرّضي) : ٢ / ٢١٩.

وذكر قره سنان قراءة حمزة في (اسطّاع) بإدغام التاء في الطاء بعد القلب إذ قال : ((وتُدغم تاء تَفْعَل وتفاعل فيما تُدغم فيه التاء أي : تاء الإفتعال وهو : الدال والطاء والظاء والذال والتاء والصاد والسين وصلًا وأبتداءً فتجب همزة الوصل أبتداءً نحو: اطيروا في تطيروا، وازيئوا في تزيئوا ،واقبلوا في تثاقلوا وادارؤوا في تدارؤوا ، ولا حاجة إلى الهمزة في التلغظ وصلًا ، نحو قوله تعالى : ﴿يَطِيرُوا بِمُوسَى مِنْ مَعَهُ﴾ ونحو (اسطّاع) في اسنطّاع مُدغمًا تاؤه في الطاء بعد القلب مع بقاء صوت السين نادرًا للجمع بين الساكنين ، وقرأه حمزة))^(٥١).

وصف قره سنان هذه القراءة بـ (النادرة) لأن حمزة قد جمع بين ساكنين وذلك غير جائز في العربية ، على الرغم من أن هذه القراءة من القراءات السبع المتواترة لاسيما أن حمزة قرأ منفردًا (اسطّاعوا) بتشديد الطاء وقرأ الباكون بالتخفيف^(٥٢).

فحجة من قرأ بالتشديد لإدغامه التاء في الطاء لقرب مخرجيهما ولأنه أبدل من التاء إذ أدغمها حرفًا أقوى منها وهو الطاء ، قال سيبويه : ((... إنّ الطاء وهي مطبقة لا تجعل مع التاء تاءً خالصةً لأنها أفضل منها بالإطباق ، فهذه أجدر أن لا تُدغم إذا كانت مكررة ...))^(٥٣).

وفيه بُعد وكراهة كجمعه بين ساكنين ليس الأول منهما حرف لين ، وهما السين وأول المُشدد^(٥٤)، وذلك جائز عند سيبويه في الشعر^(٥٥).

وحجة من قرأ بالتضعيف أنه لما كان الإدغام يؤدي إلى جواز مالا يجوز إلا في الشعر شذوذًا من التقاء الساكنين ليس الأول منهما حرف لين ولا يمكن إثبات التاء إذ ليست في الخط ولا يمكن إلقاء حركتها على السين لأنها زائدة لا تتحرك فلم يبق إلا الحذف : فحذفها للتخفيف ولزيادتها وكراهة الإدغام والجمع بين حرفين متقاربي المخرج^(٥٦).

ونلاحظ من صفات هذا الأصوات أن هناك اتحادًا بين حرفي (التاء ، والطاء) في الصفات :

فالتاء : صوت شديد مهموس انفجاري وقفي مُرَقَّق .

^{٥١} - الصافية شرح الشافية : ٢ / ٦٠٥ ، والآية الأولى الأعراف : ١٣ ، والثانية الكهف : ٩٧ ((فما اسطّاعوا أن يُظهروه)).

^{٥٢} - معاني القرآن وإعرابه (الفراء) : ٣ / ٣١٢.

^{٥٣} - كتاب سيبويه : ٤ / ٤٨٤.

^{٥٤} - ينظر: الظواهر الصوتية في قراءة حمزة بن حبيب الزيات : ١٦٦ - ١٦٧.

^{٥٥} - ينظر : كتاب سيبويه : ٤ / ٤٥٠.

^{٥٦} - ينظر: الظواهر الصوتية في قراءة حمزة بن حبيب الزيات: ١٦٧ .

الطاء : صوت شديد مهموس انفجاري وقفي مطبق^(٥٧) .

أما من جهة المخرج فإن مخرجهما واحد يكاد ينحصر بين أول اللسان والثنايا العليا ويُسمى الصوت الخارج منها أسنانياً لثوياً، وجعلها الدكتور إبراهيم أنيس من أفراد المجموعة الكبرى المتقاربة المخارج ، قال : ((أفراد هذه المجموعة هي : (الذال التاء الظاء . الدال الضاد التاء الطاء . اللام النون الراء . الزاي السين الصاد) . ووجه الشبه بين كل هذه الأصوات هو أن مخرجها تكاد تنحصر بين أول اللسان (بما فيه طرفه) والثنايا العليا (بما فيها أصولها) ...))^(٥٨).

فهذين الصوتين متفقين في المخرج إتفًا إذ لا يُفرّق بين التاء والطاء إلاّ صفة الأُطبق في الثانية^(٥٩).

وذلك التوافق والتشابه في الصفات والمخرج قد ساعد على هذا الإدغام وبذلك فإن هذه القراءة مستساغة وليست مكروهة أو نادرة إذ أنه يمكن النطق بها من غير تكلف بدليل أن كثيرًا من القُرّاء قرأوا بذلك .

ومن الناحية الصوتية نجد أن (اسطاعوا) فيها تجاور ثلاث صوامت ، ولَمَّا كان الإدغام من الناحية المقطعية يُقلل من مقاطع الكلمة ، فإن (اسْطَاعوا) يكون تحليلها المقطعي هكذا :

ء ـ س ط / ط ـ ع / ع ـ بثلاثة مقاطع بعد أن كانت هكذا:

ءِـ سِـ تِـ طِـ عِـ ءِـ

بأربعة مقاطع ، ويمكن أن نتصور المراحل التي مرت بها (اسطّاعوا) ، فالأصل : استطاعوا ، ثم أُدغمت التاء في الطاء (اسطّاعوا) ، ثم حُذفت القاعدة الثانية للمقطع المزيد تخفيفًا ليتحول إلى طويل مغلق (اسطّاعوا) أي :

- ١ - استطاعوا : / ءِ - سِ / تَ - طَ / ءَ - عَ /
٢ - اسطَّاعوا : / ءِ - سِ / طَ - طَ / ءَ - عَ /
٣ - اسطاعوا : / ءِ - سِ / طَ - طَ / ءَ - عَ / (٦٠).

^{٥٧} - ينظر : الأصوات اللغوية: ٢٢، ٢٥، ٥٣، وعلم الأصوات اللغوية (مناف مهدي موسوي) : ٤٦، ٦١، والمصطلح الصوتي في الدراسات العربية : ٣٨-٣٩، ٤٣، ٧٩.

^{٥٨} - الأصوات اللغوية : ٤٩، وينظر: علم الأصوات اللغوية : ٤٢، -٤٣، وينظر : المصطلح الصوتي في الدراسات العربية: ٣٨ - ٣٩ ، ٤٣ - ٧٩.

٥٩ - المصطلح الصوتي في الدراسات العربية : ٧٩.

٦٠ - ينظر : التقاء الساكنين في ضوء نظرية المقطع (د. صباح عطوي) : ١١٠، ١١٢.

وقد جعل الدكتور رمضان عبد التّواب هذا الحذف من كراهة توالي الأمثال^(٦١) .

٣- قراءة حمزة (ت ١٥٦ هـ) والكسائي (ت ١٨٩ هـ):

أشار قره سنان إلى قراءة حمزة والكسائي في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ أَصْدَقِ مَنْ اللَّهِ قِيلًا ﴾

(٦٢) في باب مخارج الحروف المتفرعة ، إذ منع سيبويه إبدال الصاد المتحركة زايًا ؛ وذلك لوجود الفاصل - المصوت القصير - قال : ((فإن تحركت الصاد لم تُبدَل : لأنه قد وقع بينهما شيء فامتنع من الإبدال ، إذ كان يُترك الإبدال وهي ساكنة ، ولكنهم قد يُضارعون بها صاد صدّ قَتْ ، والبيانُ فيها أحسن ...))^(٦٣) .

يُفهم من هذا النص أن هناك أداءين في الصاد المتحركة التي بعدها الدال ، وفي كلمة واحدة هما : النطق بها صحيحة خالصة وهو الأحسن ، وأن ينحو بها نحو الزاي . فيكون مخرجها بين الصاد والزاي^(٦٤) . وقد وصف السيرافي (ت ٣٦٨ هـ) الأداء الثاني بالأضعف ، قال : ((إذا تحركت الصاد صار بين الصاد والدال حركة ، والحركة بعد الحرف المتحرك في التقدير فصار بين الصاد والدال حاجز وصار ما بينهما من التنافر والنبو أخف لأنه إنما ينافره وينبو عنه بالإجتماع فأجازوا فيه أضعف الأمرين وهو أن ينحى بالصاد نحو الزاي وذلك مستمر في كل صاد متحركة بعدها دال ولا يجوز قلبها زايًا خالصة إلا فيما سمع من العرب ...))^(٦٥) .

فالحركة القصيرة حققت أكثر من غرض ، إذ شكلت فاصلًا بين الحرفين المتنافرين - الصاد والدال - لأن التنافر إنما يكون بالتتابع ، فصار هذا التتابع خفيفًا^(٦٦) .

بيد أن التخلص من كراهة التنافر بين الصاد والدال ، بإبدالها زايًا، يوقع بكراهة أخرى هي (كراهة الإجحاف) بفضيلة الإطباق التي في الصاد ، لذلك يعتمد بعض العرب إلى الحفاظ على لإطباق الذي في الصاد عن طريق (المضارعة) ، ويقصد بها : إشراب الصاد صوت الزاي أو النطق بها بين الصاد والزاي^(٦٧) .

^{٦١} - ينظر : كراهة توالي الأمثال في أبنية العربية (د. رمضان عبد التّواب) : ١٣٧ .

^{٦٢} - ينظر: معجم القراءات : ١٦١ ، والآية النساء : ١٢٢ .

^{٦٣} - كتاب سيبويه : ٤ / ٤٧٨ .

^{٦٤} - ينظر: قوة الحرف بالحركة التصحيح نموذجاً دراسة صرفية صوتية : (بحث) : ٥٣ .

^{٦٥} - شرح كتاب سيبويه (السيرافي) : ٥ / ٤٥٣ .

^{٦٦} - ينظر: قوة الحرف بالحركة (بحث) : ٥٣ .

^{٦٧} - الكراهة اللغوية عند الرضي (أطروحة) : ٢٢٢ .

قال سيبويه : ((فأما الذي يُضارع به الحرف الذي من مخرجه فالصاد الساكنة إذا كانت بعدها الدال، وذلك نحو: مَصْدَر... فضارعوا به أشبه الحروف بالدال من موضعه، وهي الزاي؛ لأنها مجهورة غير مطبقة، ولم يبدلوها زايًا خالصة كراهية الإجحاف بها للإطباق))^(٦٨).

ومن العرب من لا يُبالي بذهاب هذه الفضيلة فيُبدل الصاد زايًا خالصة ، وهم الذين وصفهم سيبويه بالفصحاء إذ قال : ((وسمعنا العرب الفصحاء يجعلونها زايًا خالصة كما جعلوا الإطباق ذاهبًا في الإدغام ، وذلك قولك في التصدير : التزدير))^(٦٩) .

وقد وصف السيرافي التنافر بين الصاد والدال فقال : ((إنَّ الصاد مهموسة رخوة مطبقة، والدال مجهورة شديدة غير مطبقة ، فنبت الصاد عن الدال لما بينهما من هذه المخالفات بعض النبو فجعل مكان الصاد حرف بين الصاد والدال هو الذي من مخرجها ، يقارب الدال ويوافقها في بعض صفاتها فيكون أشد ملائمة للدال وأقل نبوءًا عنها من الصاد وذلك الحرف هو الزاي مجهورة غير مطبقة فوافق الدال بالجهر وعدم الإطباق ، ووافق الصاد بأنهما من مخرج واحد وبالصغير الذي في الصاد والزاي))^(٧٠).

وصفات هذه الأصوات الثلاثة يمكن عرضها بشكل تفصيلي لبيان وجه التباين والإتفاق :

الصاد : مهموسة ، رخوة ، مستعلية ، مطبقة ، صغيرية.

الزاي : مجهورة ، رخوة ، مستقلة ، مفتحة، صغيرية .

الدال : مجهورة ، شديدة ، مستقلة ، مفتحة^(٧١).

يظهر من خلال هذا العرض شدة التنافر بين الصاد والدال فهما يتنافيان في الصفات جميعها على حين تتفق الزاي المُبدلة من الصاد، مع الدال في الصفات جميعها ما خلا الصغير والرخاوة ، ولذلك قُرَّب بينهما في نحو : (صَدَقَ، وَصَدَرَ)^(٧٢).

وما يلحظ من هذا أنَّ وجود الصائت القصير قد خفف من هذا التنافر بين صوتي الصاد والدال وصَّرح ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ) بقوة الحرف بالحركة كعلة لعدم القلب ، قال

^{٦٨} - كتاب سيبويه : ٤ / ٤٧٧ - ٤٧٨.

^{٦٩} - نفسه : ٤ / ٤٧٨ ، وينظر: شرح شافية ابن الحاجب (الرضي) : ٣ / ٢٣١.

^{٧٠} - شرح كتاب سيبويه (السيرافي) : ٥ / ٤٥١.

^{٧١} - ينظر: الأصوات اللغوية : ٢٢- ٢٣ ، ٢٥- ٢٦ ، ٦٨ ، وعلم الأصوات اللغوية : ٤٧- ٤٨ ، ٥٩- ٦٠ ، ٦٦ ، ٦٨.

^{٧٢} - ينظر: الكراهة اللغوية عند الرضي (أطروحة) : ٢٢٢.

: ((وإن تحركت الصاد امتنع البذل)؛ لأنه قد صار بين الصاد والذال حاجز ، وهو الحركة لأن محل الحركة من الحرف بعده ، وهذا الإبدال ههنا من قبيل الإدغام لأن فيه تقريباً للصوت بعضه من بعض ... فكما أن الحركة تمنع الإدغام فكذلك ههنا ، مع أن الحرف قد قَوِيَ بالحركة ، فلم يُقلب؛ لأن الحرف لا ينقلب إلا بعد إيهانه بالسكون))^(٧٣).

وعلل الرضي بمثل هذا قائلاً : ((... أي إذا تحركت الصاد وبعدها دال أَشَمَّ الصادُ صوت الزاي ، ولا يجوز قلبها زايًا صريحة ، لوقوع الحركة فاصلة بينهما ، وأيضًا فإن الحرف يقوى بالحركة ، فلم يُقلب ، فلم يبق إلا المضارعة للمجاورة ، والإشمامُ فيها أقل منه في الساكنة ، إذ هي محمولة فيه على الساكنة التي إنما غيّرت لضعفها بالسكون ...))^(٧٤)

إنَّ تحريك الصاد بات أكثر وضوحًا في عدّه سببًا في عدم التحوّل ، وأن إشمامهما صوت الزاي يختلف اعتمادًا عليها- الحركة- فهو في الصاد المتحركة أقل منه في الساكنة ؛ لأنها قويت بالحركة^(٧٥) .

قال الرضي : ((... ويجوز في الصاد الساكنة الواقعة قبل الدال زايًا صريحة وإشرابها صوت الزاي ، ...))^(٧٦) يظهر من ذلك إنَّ هذا الإبدال ضعيف لأنه مقيد بسكون الصاد أي : عدم وجود حاجز بين (الصاد والدال) .

وقد نبّه الرضي على أن الصاد قد حازت الضعف بسكونها في البنية المقطعية التي وردت فيها من حيث وقوعها في نهاية المقطع بالنظر إلى الدال التي شغلت موقعًا قويًا في أول المقطع هكذا :

تصدير : / ت ـ ص / د ـ ر / ومثلها في الأجراء (أَصْدَق) .

إذ قال : ((فغيروا الأولى – يعني الصاد – لضعفها بالسكون))^(٧٧) .

واستدل على قوتها بأنها إذا تحركت أصبحت في موضع قوة ، نحو : صَدَرَ وَصَدَق ، ومن ثم لا يجوز إبدالها ، إذ قال : ((إذا تحركت الصاد وبعدها دال ... لا يجوز قلبها زايًا

^{٧٣} - شرح المفصل (ابن يعيش) : ٤١٦ / ٥ .

^{٧٤} - شرح شافية ابن الحاجب (الرضي) : ٢٣٢ / ٣ .

^{٧٥} - ينظر: قوة الحرف بالحركة (بحث) : ٥٤ .

^{٧٦} - شرح شافية ابن الحاجب (الرضي) : ٢٣١ / ٣ .

^{٧٧} - شرح شافية ابن الحاجب (الرضي) : ٢٣١ / ٣ .

صريحة ، لوقوع الحركة فاصلة بينهما ، وأيضاً فإن الحرف يقوى بالحركة ، فلم يُقلب ((^(٧٨).

وأيد ركن الدين (ت ٧١٥هـ) قوة الصاد بالحركة في عدم تحوّلها ، إذ قال : ((... ولم يقولوا بإشمام الزاي الصاد ، ولم يقولوا : زَدَرَ ، بإبدال الزاي عن الصاد ، لقوة الصاد بالحركة في صَدَرَ وصدَّق : صدر وصدق بإشمام الصاد زاي ...))^(٧٩).

ومما سبق يتّضح أن التوجيهين – الفصل بالحركة وقوة الحرف بالحركة – يُمثّلان نظرتين للحرف هما : نظرة قوامها الإدغام فشكّلت الحركة مانعاً له ، ونظرة قوامها الحرف نفسه من أنّه اعتاص عن التحول لقوته بالحركة ، ولاجرم أن هذه النظرة هي الأقرب إلى المعالجة الصوتية والصرفية^(٨٠).

ولم يصف قره سنان هذه القراءة إلاّ أنّه قد أشار إليها فقال : ((والصاد كالزاي وقرأ بذلك حمزة والكسائي في قوله تعالى : ﴿ومن أصدّق من الله قِيلاً﴾))^(٨١).

ففي قوله : (والصاد كالزاي) إشارة إلى جواز قلب الصاد الساكنة الواقعة قبل الدال زائاً صريحة وإشرابها صوت الزاي لعدم وجود حاجز بين الصاد والدال وهذا الإبدال ضعيف ومقيد بالسكون .

ولا يخفى ما للموقعية من أثر بين أن تكون الصاد متحركة نحو : صدَّق ، أو تكون ساكنة نحو : مَصْدَر ، إذ إنّ الصاد الساكنة تكون في موقع مقطعي يتسم بالوهن (نهاية المقطع)^(٨٢).

م / ص / د / ر / ن / .

وقال د. عبد الصبور شاهين عن اكتساب الصوت المتأثر بعض خصائص الصوت المؤثر فيه نحو (أصدّق) : ((تجاوزت الصاد مع الدال مباشرة، والدال موقعها أقوى ، فأثرت في الصاد بأن منحتها صفة الجهر ، فنطقت الكلمة (أزدق) بالزاي المفخمة ...))^(٨٣).

^{٧٨} - نفسه : ٢٣٢ / ٣ .

^{٧٩} - شرح شافية ابن الحاجب (ركن الدين) : ٨٨٧ / ٢ .

^{٨٠} - ينظر: قوة الحرف بالحركة (بحث) : ٥٤ .

^{٨١} - الصافية شرح الشافية : ٥٨٢ / ٢ .

^{٨٢} - ينظر: الكراهة اللغوية عند الرضي (أطروحة) : ٢٢٢ .

^{٨٣} - المنهج الصوتي للبنية العربية (عبد الصبور شاهين) : ٢٠٩ .

وهذه الموقعية متأتية من سكونها وليس الأمر كذلك في الصاد المتحركة فإنها قويت لتحركها فكانت في بداية التشكيل المقطعي :

ص ـ / د / ق ـ .

الخاتمة:

وفي ختام هذا البحث نبين اهم النتائج التي توصل اليها البحث:

١. اعتمد في تقرير بعض أحكامه على القرآن الكريم إذ أستشهد في صافيته بأربع وخمسين آية.
٢. استشهد بالقراءات القرآنية سواء كانت متواترة أو آحادًا وله وجهة نظر في الاستشهاد بقراءات الآحاد وهو ترجيحها على الشواهد الأخرى من غير القرآن الكريم ؛ لأن الجميع من رواية الآحاد، فما كان من نقل القراء أولى .
٣. اهتمامه بالقراءات ولاسيما المتواترة وعنايته بتوجيهها ، ووجدنا أنه لم يكتف في توجيه القراءة بالمذهب الأصح وإنما ذكر المذهب الآخر أيضًا.
٤. لم يستشهد بقراءة القراء الأربعة عشر ، وكان يصف بعض القراءات بالشاذة أو النادرة .

المصادر:

أولاً : القرآن الكريم .

- ❖ إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر ، أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي (ت ١١١٧هـ) الشهير بالبناء ، تحقيق: د. شعبان محمد إسماعيل ، ط/١ ، عالم الكتب ، بيروت – لبنان ، مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ❖ ارتشاف الضرب من لسان العرب ، محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) ، تحقيق : د. رجب عثمان محمد ، مراجعة : د. رمضان عبد التواب ، ط/١ ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- ❖ الأصوات اللغوية ، د. إبراهيم أنيس ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٩٩م.
- ❖ إعراب القرآن ، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي (ت ٣٣٨هـ) ، وضع حواشيه وعلق عليه : عبد المنعم خليل إبراهيم ، منشورات محمد علي بيضون ، ط/١ ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ❖ البديع في علم العربية ، مبارك بن محمد الشيباني الجزري أبو السعادات مجد الدين ابن أثير (ت ٦٠٦هـ) ، تحقيق : فتحي أحمد علي الدين ، ط/ ١ ، جامعة أم القرى ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

- ❖ البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط/ ١ ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.
- ❖ تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) ، ج ٨ ، تحقيق : د. عبد العزيز مطر ، راجعه : عبد الستار محمد فراج ، ط/ ٢ ، مطبعة حكومة الكويت ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- ❖ تجاور الساكنين في مدونة النحو العربي ، د. جواد كاظم عناد ، ط/ ١ ، دار تموز ، دمشق ، ٢٠٢١م.
- ❖ التيسير في القراءات السبع ، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤هـ) ، تحقيق : أوتو تريزل ، ط/ ٢ ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ❖ الحجة في القراءات السبع ، الحسين بن أحمد بن خالويه أبو عبد الله (ت ٣٧٠هـ) ، تحقيق : د. عبد العال سالم مكرم ، ط/ ٤ ، دار الشروق - بيروت ، ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م.
- ❖ الحجة للقراء السبعة ، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي ، أبو علي (ت ٣٧٧هـ) ، تحقيق : بدر الدين قهوجي ، وبشر جويجاني ، ط/ ٢ ، دار المأمون للتراث ، لبنان ، بيروت ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- ❖ الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) ، تحقيق : محمد علي النجار ، قدم له : د. عبد الحكيم راضي ، ط/ ٥ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠١١م.
- ❖ الدر النثير والعذب النمير في شرح كتاب التيسير ، ابو محمد عبد الواحد بن محمد المالقي (ت ٧٠٥هـ) ، تحقيق : د. محمد الطيّان ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ٢٠٠٦م.
- ❖ الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ، د. حسام النعيمي ، دار الرشيد للنشر ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، جمهورية العراق ، ١٩٨٠م.
- ❖ السبعة في القراءات ، أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد (ت ٣٢٤هـ) ، تحقيق : د. شوقي ضيف ، ط/ ٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠م.
- ❖ سر صناعة الإعراب ، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) ، دراسة وتحقيق : د. حسن هندائي ، دار العلم للطباعة والنشر والتوزيع ، ط/ ٢ ، دمشق ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- ❖ شرح الشافية لمصنفها ابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ) ، دراسة وتحقيق : د. غازي بن خلف العتيبي ، ط/ ١ ، مكتبة الرشيد ، السعودية - الرياض ، ١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م.
- ❖ شرح المفصل (ابن يعيش) ، موفق الدين يعيش بن يعيش النحوي (ت ٦٤٣هـ) ، عني بطبعة ونشره: إدارة الطباعة المنيرية ، مصر ، ١٩٠٠م.
- ❖ شرح شافية ابن الحاجب (الرضي الأستراباذي) ، محمد بن الحسن الرضي الأستراباذي نجم الدين (ت ٦٤٦هـ) ، شرح شواهد ، عبد القادر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ) حققهما : محمد نور الحسن ، محمد الزفزاف ، محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

- ❖ شرح شافية ابن الحاجب (ركن الدين) ، أبو الفضائل الإستراباذي، (ت ٧١٥هـ) ، تحقيق : د. عبد المقصود محمد عبد المقصود ، ط/١، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- ❖ شرح كتاب سيبويه ، الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي (ت ٣٦٨هـ) ، تحقيق : أحمد حسن مهدي ، علي سيد علي ، ط/١، دار الكتب العلمية ، لبنان - بيروت ، ٢٠٠٨م.
- ❖ الصافية شرح الشافية ، يوسف بن عبد الملك بن عبد الغفور (قره سنان) (ت ٨٥٢هـ) ، دراسة وتحقيق، تهاني بنت محمد سليم الصفدي، كلية اللغة العربية بالرياض،السعودية ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .
- ❖ الظواهر الصوتية في قراءة حمزة بن حبيب الزيات الكوفي ، د. رسول صالح علي أحمد الحلبوسي ، دار الإيمان - الإسكندرية ، ٢٠٠٦م.
- ❖ علم الأصوات اللغوية ، د. مناف مهدي الموسوي ، ط/ ٣، توزيع دار الكتب العلمية ، بغداد ، ١٤١٩هـ - ٢٠٠٧م.
- ❖ القاموس المحيط ، مجد الدين محمد يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ) ، ط/ ١، دار نوبليس ، بيروت - لبنان ، ٢٠٠٦م.
- ❖ القراءات القرآنية تأريخ وتعريف ،د. عبد الهادي الفضلي ، ط/ ١، دار المجمع العلمي ،جدة ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ❖ الكتاب ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (ت ١٨٠هـ) ، تحقيق: د. عبد السلام محمد هارون ، ط/٣، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ❖ لسان العرب ، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١هـ) ، الحواشي : لليازجي وجماعة من اللغويين ، ط/٣، دار صادر - بيروت ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- ❖ اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، د.عبد الراجحي ، دار المعارف - مصر ، ١٩٦٨م.
- ❖ المصطلح الصوتي في الدراسات العربية ، عبد العزيز سعيد الصيغ ، ط/١، دار الفكر، دمشق ، مكتبة الأسد ، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م.
- ❖ معاني القرآن ،أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ) ، تحقيق : ج ١: أحمد يوسف نجاتي ، ومحمد علي النجار ، ج ٣: عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، ط/٣، عالم الكتب ، لبنان - بيروت ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ❖ معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري الزجاج (ت ٣١١هـ) ، تحقيق : عبد الجليل عبده شلبي، ط/١، عالم الكتب ، لبنان - بيروت ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ❖ معجم القراءات ، د. عبد اللطيف الخطيب ، ط/١، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق - سوريا ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

- ❖ المفصل في صنعة الإعراب ، محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق : د. علي بو ملح ، ط/١، مكتبة الهلال – بيروت ، ١٩٩٣م.
- ❖ الممتع الكبير في التصريف ، ابن عصفور الإشبيلي (ت ٦٦٩ هـ) ، تحقيق : د. فخر الدين قباوه ، ط/١، مكتبة لبنان ، ١٩٩٦م.
- ❖ المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي ، د. عبد الصبور شاهين ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ❖ النشر في القراءات العشر ، أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي (ت ٨٣٣هـ) ، تصحيح ومراجعة : علي محمد الضباع ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .

الأطاريح:

- ❖ الاحتجاج الصرفي عند شراح الشافية في القرن الثامن الهجري ، أطروحه ، قدمها باسم محمد عيادة الحلفي ، كلية الآداب – جامعة البصرة ، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م.
- ❖ الكراهة اللغوية عند الرضي الأسترايادي (ت ٦٨٦هـ) في شرحه على الشافية والكافية ، أطروحة دكتوراه، تقدم بها : حيدر نجم عبد زيارة ، جامعة القادسية ، كلية الآداب ، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٦م.

البحوث:

- ❖ قوة الحرف بالحركة - التصحيح انموذجًا – دراسة صرفية صوتية ، د. شكران حمد شلاكة المالكي ، جامعة القادسية ، كلية التربية ، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م.